الدوافع والاسباب لانكار المعاد في الخطاب القراني

محمد اعبادي صالح

الاستاذ المشرف الدكتور عزة الله مولايى نيا

الاستاذ المساعد الدكتور علي احمد ناصح

جمهورية ايران الإسلامية جامعة قم / كلية الالهيات والمعارف الاسلامية

Motives and reasons for denying the resurrection in the Qur'anic discourse,

researcher

Muhammad Ebadi Saleh

ملخص

ينتمي مفهوم المعاد الى اسره اصول الدين, وقد بين الخطاب القراني بوضوح تام مفهومه وجوب الايمان به والتصديق بتلك الحقائق التي اشارت لها مكاشفة الخطابات القرانية وقد كان الاثر في واقع حقيقة المعاد قويا وله صدى في حياة الانسان فيجب مراعات ما جاء به الخطاب القراني في هذا الخصوص بما يحمله من اشارات واعيه من خلال بيان الاثر السلبي الذي يخيم على مداراك الانسان انطلاقا من اثاره الخطاب القراني في هذا العنوان قد ابدا تفاعلا مع مدارك الانسان العقلية في فهم حقيقه هذا الواقع الغيبي, وقد اعطى المنهج التربوي الواضح ليرفع مستوى ثقافه الانسان وادراك الحقيقة التي اثرت بصداها على واقع الحياه الدنيا فكان الرد ايجابيا اذا انحنى قلب الانسان الى الهدايه من خلال الايمان به ويكون سلبيا اذا تغافل بالنسيان واعرض بالاهمال عن حقيقه هذا الواقع. الكلمات المفتاحية

الاثار , التربوية, للمعاد, الرؤيا, القرأنية.

yamtani mafhum almuead alaa asiruh aswl aldiyn waqad bayan alkhitab alquraniu biwuduh tamin mafhumuh wujub alayman bih waltasdiq bitilk alaikhbar alati asharat laha makashifuh alkhitabat alquranih waqad kan alathir fi waqie haqiqih almuead qawiana walah sadaa fi hayaah alanisan fayajib maraeah ma ja' bih alkhitab alquraniu fi hadha alkhusus bima yahmiluh asharat waeih min khilal bayan alathir alsalbii aladhi yukhiam ealaa madarak alansan aintilaqan min atharih alkhitab alquraniu fi hadha aleunwan qad abida tafaeulan mae muqadarat alansan fi fahm haqiqih hadha alwaqie alghaybiu waqad aietaa almanhaj altarbawiu alwadih liarfae mustawaa thaqafih alansan wadirak alhaqiqah alati atharat bisadaha ealaa waqie alhayah aldunya fakan alradu ayjabia adha ainhanaa qalb alansan alaa alhadayh qalb alansan alaa alhadayh min khilal alayman bih wayakun salbiana adha taghafal bialnisyan waierid bialahmal ean haqiqih hadha alwaqie

المقدمة

المعاد من الاسماء البارزة في الخطبات القراني حيث بينت ماهيته على وجه الحقيقة ووجوده الواقعي من خلال مناسبات عدة من حيث وجوب الايمان به كواحد من اصول العقيدة الاسلاميه واركانها وقد ساهم النص في الخطاب القراني في توضيح ما نفهمه من عنوان المعاد باشارات ساهمت في رفع مستوى ثقافه الانسان من خلال واقع حقيقي بعتباره صفحة من صفحات الغيب والايمان به والقدرة على رسم صوره له في مخيله الانسان مبنيه على اليقين والمصداق بوجوده كواقع يكشف عن حقيقته الخطاب القراني وقد اثارت هذه الخطابات وبشده ومن منطلق الحقيقه والواقع بيان ما هو منتظر من بعد الحياه الاولى الى حياه اخرى ابديه يسود فيها الخلود وان يكون مصير ذلك الخلود مرهون بقدر ما جاء به من مكاسب الحياة الدنيا, وقد افاد الخطاب القراني في بياناته كاشفا هذه الحقيقة على انه مصير حقيقي محتوم, ويأخذ بعين الاعتبار الجهة الرافضة لهذا الواقع الذي كاشفته الخطابات القرانيه الصادقة مقطوعه الصدور من قبل وحي السماء على نبي الرحمة محمد (ﷺ) وسابقه من الانبياء الاطهار حيث اعرب كثيرا من الناس اعرض هذه الحقيقه وانكارها بواعز يترتب عليه اسباب الرفض منها الجهل وغياب المعرفة عند الانسان تجاه هذه الحقيقة, وقد ساهم هذا الواقع المترسخ بالجهل والاهمال, الذي غابت عنه منابع المعرفة والعلم واستقبال الحقائق اليقينية في مفهوم المعاد واليوم الاخر , وقد عالج النص في الخطاب القراني جميع الابتلاءات التي تعرض لها الانسان واوجد لها الحلول المناسية لمن يهتدي لواقع هذه الحقيقة.

المبحث الأول محور الجهل وغياب المعرفة

ان الجهل من الافات الخطيره التي تخين على فكر الانسان وامتداد معطيات التفكر لديه وقد بين اصحاب الراي في هذا الموضوع مفهوم الجهل على الوجه المنطقي والذي يراعي انطباق مفاهيم الخطاب القراني وقد بين صاحب كتاب المنطق مفهوم الجهل واقسامه ليكون صوره واضحه على هذه خطيره حيث قال: ليس الجهل إلا عدم العلم ممن له الاستعداد للعلم والتمكن منه ، فالجمادات والعجماوات لا نسميها جاهلة ولا عالمة ، مثل العمى ، فإنه عدم البصر فيمن شأنه أن يبصر ، فلا يسمى الحجر أعمى. وسيأتي أن مثل هذا يسمى "عدم ملكة" ومقابله وهو العلم أو البصر يسمى "ملكة" ، فيقال أن العلم والجهل متقابلان تقابل الملكة وعدمها. وقد بين اقسامه حيث قال: والجهل على قسمين كما أن العلم على قسمين لأنه يقابل العلم فيبادله في موارده فتارةً يبادل التصور أي يكون في مورده وأخرى يبادل التصديق أي يكون في مورده ، فيصح بالمناسبة أن نسمي الأول "الجهل التصوري" والثاني "الجهل التصديقي". وكذلك بين على اقوال اهل العلم: ثم أنهم يقولون أن الجهل ينقسم إلى قسمين : بسيط ومركب. وفي الحقيقة أن الجهل التصديقي خاصة هو الذي ينقسم إليهما ، ولهذا اقتضى أن نقسم الجهل إلى تصوري وتصديقي ونسميهما بهذه التسمية. أما الجهل التصوري فلا يكون إلا بسيطاً كما سيتضح. ولنبين القسمين فنقول

١ . "**الجهل البسيط**" أن يجهل الإنسان شيئاً وهو ملتفت إلى جهله فيعلم أنه لا يعلم ، كجهلنا بوجود السكان في المريخ ، فإنا نجهل ذلك ونعلم بجهلنا فليس لنا إلا جهل واحد.

٢ . "**الجهل المركب**" أن يجهل شيئا وهو غير ملتفت إلى أنه جاهل به بل يعتقد أنه من أهل العلم به ، فلا يعلم أنه لا يعلم ، كأهل الاعتقادات الفاسدة الذين يحسبون أنهم عالمون بالحقائق ، وهم جاهلون بها في الواقع. ويسمون هذا مركبا لأنه يتركب من جهلين : الجهل بالواقع والجهل بهذا الجهل. وهو أقبح وأهجن القسمين. ويختص هذا في مورد التصديق لأنه لا يكون إلا مع الاعتقاد[١]. « وهنا بين صاحب المنطق مفهوم الجهل وقد اوضح كذلك بيان قسميه اجهل التصوري والجهل التصديقي وهذا مهم جدا في ترسيخ البيان الواضح لفهم الخطاب القراني والايمان به ونحن نعلم جيدا ان الخطاب القراني خطاب سماوي موحا الى نبي مختار لينذر ويبشر الناس بعد الايمان المطلق من خلال التصور ورفع واقع الجهل في جميع الاخبارات الايحائيه بمختلف توجهاتها الارشاديه والتي تهدف الى رفع مستوى ثقافه. الفرد الانساني والايمان بالوحدانيه والربوبيه وقد افاده هذا البحث في مفهوم الجهل بترسيخ المفهوم العام لمعرفه الواقع في الخطاب القراني والخروج من مظله الجهل وهذا ما يريده الخطاب القراني وقد بين صاحب المنطق اقسام الجهل هناك جهل بسيط وهناك جهل مركب وهذا ما هو له حقيقه في واقع الانسان على مستوى الفهم والادراك للخطابات القرانيه وبالتالي الايمان بها حيث جاء في النصوص القرانيه ما هو يستوعب المفهوم المراد من تلك الخطابات على وعي ودرايه تصوريه من باب العلم والمعرفه ونموذج في قوله تعالى: ﴿**وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ**﴾[٢]وهذا النص يبين مدى جهل هؤلاء بحقيقه الوحي وقد لجئوا الى ما يعتقدون به كل معجزا في الطبيعه انه من باب السحر وقد اوضح المفسرون ما يعتقده هؤلاء من محيط ما يجهلون به من واقع تصوري وانطباق لمصداق حقيقه واعده مستقبليه» حيث بين صاحب التبيان قوله: أخبر الله تعالى في هذه الاية أنه لو نزل على نبيه كتابا يعني صحيفة مكتوبة في قرطاس حتى يلمسوه بأيديهم ويدركوه بحواسهم، لانهم سألوا النبي (ﷺ)ان يأتيهم بكتاب يقرؤونه من الله تعالى فلان بن فلان أن آمن بمحمد، وانه لو أجابهم إلى ذلك لما آمنوا، ونسبوه إلى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وعزمهم على أن لايؤمنون على كل حال. وعرفه أن التماسهم هذه الايات ضرب من العنت ومتى فعلوا ذلك أصطلمهم واستأصلهم، وليس تقتضى المصلحة ذلك، لما علم في بقائهم من مصلحة للمؤمنين، وعلمه بمن يخرج من أصلابهم من المؤمنين وأن فيهم من يؤمن فيما بعد، فلايجوز أختزام من هذه صفته – عند ابي علي والبلخي. وقوله " ان هذا الاسحر مبين " معناه ليس هذا الا سحر مبين. واحتج ابوعلي بهذه الاية على أنه متى كان في معلوم الله تعالى انه لو آتاهم الايات التي طلبوها لامنوا عندها وجب ان يفعلها بهم، قال: ولولا ذلك كذلك لم يحتج على العباد في منعه اياهم الايات التي طلبوها أي انما منعتهم اياها لانهم كانوا لايؤمنون، ولو آتاهم إياها لكانوا يقولون انها سحر مبين. وبهذا تبين بطلان قول من قال اللطف ليس بواجب، وانه يجوز ان يمنعهم الله ما طلبوا وان كانوا يؤمنون لو آتاهم ذلك ويكفرون لو منعهم اياه[٣]..وقد اوضح خطاب اخرعلى جهل المتعنتين في قبو الحقيقة في قوله تعالى: ﴿**وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ**﴾[٤]حيث بين صاحب الامثل مفهوم هذا النص قائلا: لماذا لا يرعوي المعاندون؟ هذه الآية تتبع سابقاتها في تعقيب الحقيقة نفسها، وهدف هذه الآيات هو بيان كذب أُولئك الذين طلبوا تحقيق معجزات عجيبة وغريبة يستحيل تحقق بعضها كما مرّ "مثل رؤية الله جهرة"فهم يظنون أنّهم بطلبهم تلك المعجزات العجيبة سوف يزعزعون أفكار المؤمنين ويزلزلون عقائد الباحثين عن الحق ويشغلونهم عن ذلك. فيصرّح القرآن في الآية المذكورة قائلا: ﴿**وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ**﴾: ثمّ يؤكّد ذلك أنّهم لا يمكن أن يؤمنوا إلاّ في حالة واحدة وهي أن يجبرهم الله بإرادته على الإيمان: ﴿**إلاّ أن يشاء الله**﴾ إلاّ أنّ إيماناً كهذا لا ينفع في تربيتهم ولا يؤثر في تكاملهم وفي النهاية يقول: ﴿**وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ**﴾.هناك كلام مختلف بين المفسّرين عمّن يعود إليهم الضمير «هم» في هذه العبارة، فقد يعود إلى المؤمنين الذين أصروا على رسول الله (ﷺ) أن يحقق للمشركين طلباتهم ويأتيهم بكل معجزة يريدونها.وذلك لأنّ معظم هؤلاء المؤمنين كانوا يجهلون زيف الكفار في دعواهم، ولكنّ الله كان عالماً بأنّهم كاذبون، ولذلك لم يجبهم إلى طلباتهم، إلاّ أنّ دعوة رسول الله (ﷺ) لا يمكن أن تخلو . طبعاً . من معجزة، فقد حقق الله في مواضع خاصّة معجزات مختلفة على يده. والإحتمال الآخر هو أنّ الضمير «هم» يعود إلى الكفار أصحاب الطلبات أنفسهم، أي أنّ أكثرهم يجهل قدرة الله على تحقيق كل أمر خارق للعادة، ولعلهم يعتبرون قدرته محدودة لذلك كانوا يصفون معاجز الرّسول بالسحر، يقول سبحانه: ﴿**لَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ**﴾[٥] فهم قوم معاندون وجاهلون وينبغي أن لا يهتم أحد بكلامهم[٦]« ين كلا من صاحب البيان وصاحب الامثل وهما من المفسرين الرائدين في مجال التفسير على ان الجهل الذي اصاب هؤلاء القوم الذين يريدون حقائقا عينيه شهوديه ذات مصداق واقعي وان راوه باعينهم فانهم ينكرون

ذلك ويصيبونه بالسحر وانهم على غير حقيقه ما تنظر اعينهم وهذا كله مبني على الاعتراض وانهم يرفضون ما جاءت به السماء من تصورات تدخل الى اعماق افئدة المؤمنين لا يوقنون به يقينا تاما مقرنا بالمصاديق الغيبيه المستقبليه للمعاد, حيث كانت مظلة الجهل واضحه في اسلوب خطابهم في المتعامل مع الوحي السماوي وما انزل الله سبحانه وتعالى على الانبياء من قول, هذا القول اسمه القران وهو يتفاعل مع وجدان وضمائر الناس فان كانت قلوبهم لينه استوعبت ذلك القران وبالتالي خشعت له وامنت به, واما غيرهم من الجاهلين الذي يطغي الجهل في ممارساتهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم المنحرفه النائمه على عدم الوعي واستقبال تلك الحقائق السماويه التصوريه وبالتالي يكونون قد خسروا بجهلهم ما اراد الله ﷻ ان يصل الى قلوبهم فوجدها مقفله صلده لا تستقبل تلك التصورات باي شكل من الاشكال»استطاع مفهوم التصور والتصديق وهما بديهيتان في ميدان الفكر بأن يبين مصاديق ما يستطيع الذهن تلقي معنى القول والمعني في هذا القول هو القران الصادر من السماء وقد بين الخطاب القراني ان اخطر آفه في وعي الانسان الا وهي الجهل وهي باب مفتوح للظلم, والظلم هو وسلب حق الاخر وان كان من ذات نفسه, فالجهل انه لابد الخروج من آفته بواسطه العلم والمعرفه التامه بمستدركات الحقائق الواقعيه والغيبيه التي تقع تحت ميدان علم الشهود وعلم تصور وقد حاكت تلك النصوص التي اخترناها مدى تعنت هؤلاء القوم الذين بجهلهم اعرضوا عن ما جاء به الوحي ولم يعطوا فرصه واحده لانفسهم لستلهام التصورات التي اعطت حقائق داعية الى البشرى والنذر يوم القيامه وهو اليوم الاخر معاد الانسان من بعد موته بين يدي الله ﷻ كلا حسب استحقاقه يكون مصيره مما ترك من مكاسب في حياته الدنيا وقد تحتم مصيره فيها فعلينا ان نسترشد من تلك النصوص والاشارات القرانيه التي تسعى ان تخرج الانسان من ظلمات الجهل الى فسحة النور العظيم وهنا يستبين على ان قهر الجهل بالمعرفةوبالتالي يكون الانسان على وعي تام بستقبال الحقائق السماوية والايمان بها عكذا كان سعي الخطاب القرانب الموجه تربويا.

المبحث الثاني تداعيات الجهل ورفض حقيقة المعاد.

ياخذ الجهل مساحه واسعه عند منكري المعادن اشد الناس بكفرهم على حقيقه العوده بعد الموت مره اخرى بخلق جديد وهذا يشكل امرا تعجبيا في نفوسهم حيث يخيم في اذهانهم الممتنعه عن تلك التصورات الايمانيه والمستدركات العقليه على ان واقع هذه الحياه الدنيا فاني هو وما فيها وكذلك العنصر الاهم فيها هوالانسان والعوده مره اخرى الى مقام العقاب والثواب وقد اخذت بعض النصوص على عاتقها بيان جهل هؤلاء من العوده مره اخرى بعد الفناء والهلاك باجسادهم واجسامهم لانها سوف تنسج مره اخرى بجسم جديد وحياه جديده لواقع جديد هذا ما تحاكيه خطابات القرانيه ومنها في قوله تعالى:﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ** ﴾[٧]وقد اشاد بعض المفسرين واقع حال هؤلاء وهم يزعمون بجهلهم متعجبين عن قبو الحقيقة في نفوسهم والايمان بها. حيث بين صاحب الدر المنثور قوله: قَالَ ذَلِك مشركو قُرَيْش ﴿ **إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ** ﴾ يَقُول: إِذا أكلتكم الأَرْض وصرتم عظاماً ورفاتاً وتقطعتكم السبَاع وَالطير ﴿**إِنَّكُم لفي خلق جَدِيد**﴾ إِنَّكُم ستحيون وتبعثون قَالُوا: ذَلِك تَكْذِيبًا بِهِ ﴿**أفترى على الله كذبا أم بِهِ جنَّة**﴾ قَالَ: قَالُوا: إِمَّا أَن يكون يكذب على الله واما أَن يكون مَجْنُونا ﴿**أفلم يروا إِلَى مَا بَين أَيْديهم وَمَا خَلفهم من السَّمَاء وَالْأَرْض**﴾ فكيف يكون ذلك[١٠]. ثم بين صاحب التبيان بقوله: حكى ان الكفار يقول بعضهم لبعض ﴿**هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ**﴾ ونرشدكم إلى ﴿**رَجُل يُنَبِّئُكُمْ**﴾ أي يخبركم ﴿**إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾ أي مزقت أعضاؤكم بعد الموت، وصرتم ترابا ورميما * ﴿**إِنَّكُمْ لَفِي خَلْق جَدِيدٍ**﴾ ابتداء بأن لم يعمل فيها ﴿**نُنَبِّئُكُمْ**﴾ لانه لو أعمل فيها لنصبها، يعيدكم ويحييكم، ويقولون: هذا على وجه الاستبعاد له والتعجب من هذا القول. ومعنى ﴿**مزقتم**﴾ بليتم وتقطعت أجسامكم. والعامل في ﴿**إذ**﴾ يقول – في قول الزجاج – وتقديره هل ندلكم على رجل يقول لكم إنكم إذا مزقتم تبعثون، وبكون ﴿**إذا**﴾ بمعنى الجزاء تعمل فيها التي تليها، القرآن ولو لم تقطع لكان خبرا بعده استفهام، والمعنى إن هؤلاء الكفار الذين يتعجبون من قول النبي (ﷺ) إن الله يعيد الخلق بعد اماتتهم خلقا جديدا، هل كذب على الله متعمدا ﴿ **أم به جنة** ﴾ يعنون جنونا فيتكلم بمالا يعلم فقال الله تعالى ليس كما يقولون: ﴿ **بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ** ﴾ أي لا يصدقون بالآخرة وبما فيها من الثواب والعقاب "﴿ **في العذاب والضلال البعيد**﴾ يعني العدول البعيد عن الحق، فلذلك يقولون ما يقولون، بل نبههم على صحة ما يقول النبي (ﷺ) من الاعادة فقال ﴿ **افلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض**﴾ [١١] فيفكروا فيه ويعتبروا به وإن الله تعالى خلقه واخترعه وأنه ﴿ **ان نشأ نخسف بهم الارض** ﴿ **من تحت أرجلهم** ﴿ **او نسقط عليهم كسفا** ﴾ يعني قطعة من السماء ثم قال " إن في ذلك لآية " ودلالة ﴿ **لكل عبد منيب** ﴾ أي راجع إلى الله تعالى. ووجه التنبيه بالآية أن ينظروا فيعلموا أن السماء تحيط بهم، والارض حاملة لهم، وفهم في قبضتنا إن نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم السماء, أفما يحذرون[١٢]. « أفاده كل من صاحب الذر المنثور والتبيان تعنت هؤلاء الكافرون الذين لا يعقلون واقع

المعاد من بعد الموت وكانوا يؤمنون فقط فيما تحكم به طبيعه الانسان والتي هي تحت انظار شهودهم وقد اوضح المفسرين الى ضرورة حقيقية من واقع الوجود الشهودي برفع السماء فوقهم و القدره الالهيه في خسف الارض او يسقط عليهم ما حملته السماء من ثقل ليكون عبئا عليهم وعذاب اليم افلا يتدبرون ذلك ام يجهلون حقيقه الوجود والكون المحيط بهم الذي له خالق وصانع اوجده وهو اعظم من خلقهم بعد موتهم مره اخرى, وكان استهزاؤهم وتعجبهم بقول النبي انكم سوف تعودون من بعد الموت من قبوركم التي حوت اجسادكم وتفرقت عظامكم وتمزقت لحومكم انكم لفي خلق جديد وكان واضحا جهلي هؤلاء وتجذيبهم بالمعان وتكذيبهم بالمعاد». ثم بين صاحب الميزان من زاوية اخرى للنص حيث قال: فمنهم من كان يرى استحالته فينكره كما هو ظاهر قولهم على ما حكاه الله : ﴿ **هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾[١٣] ، ومنهم من كان يستبعده فينكره وهو قولهم : ﴿ **أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ**﴾ [١٤]، ومنهم من كان يشك فيه فينكره قال تعالى : **بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها**﴾ [١٥]، ومنهم من كان يوقن به لكنه لا يؤمن عنادا فينكره كما كان لا يؤمن بالتوحيد والنبوة وسائر فروع الدين بعد تمام الحجة عنادا قال تعالى : ﴿ **بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**﴾[١٦], والمحصل من سياق الآيات الثلاث وما يتلوها أنهم لما سمعوا ما ينذرهم به القرآن من أمر البعث والجزاء يوم الفصل ثقل عليهم ذلك فغدوا يسأل بعضهم بعضا عن شأن هذا النبإ العجيب الذي لم يكن مما قرع أسماعهم حتى اليوم ، وربما راجعوا النبي (ﷺ) والمؤمنين وسألوهم عن صفة اليوم وأنه متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وربما كانوا يراجعون في بعض ما قرع سمعهم من حقائق القرآن واحتوته دعوته الجديدة أهل الكتاب وخاصة اليهود ويستمدونهم في فهمه[١٧].«ين صاحب الميزان في الايات الثلاثه التي بين فيها تعنت هؤلاء وتجاهلهم لما اخبرت به النصوص ذات الشان في موضوع المعاد وكان تعجبهم وتعنتهم نابع عن جهلهم الكبير لقدره الله ﷻ في ان يعود بهم الى النشأة التي انشاهم بها اول مره الى الدار الاخرى, وانهم يرفضون ان يستوعبوا تلك الحقيقه في انفسهم وان الامر كبر على نفوسهم فكذبوه واعرضوا عنه وكانوا من الكافرين, وقد اوضح في تفسير هذه النصوص جمله من المفسرين على ان المعاد حقيقه لابد ان يؤمن بها الفرد الانساني وهي من المستدركات النقلية الواعيه حيث كل ما يدور حول الانسان هو واقع الناموس الطبيعي وهذا الكون العظيم هو اعظم من بعثهم يوم القيامه واعادتهم بخلق جديد امام عبوديه الباري ﷻ وهنا تاتي الاشاره على ان تداعيات هذا الجهل تكون سلبيه جدا على الممتنعين والمعارضين على ان تنصت اذهانهم لما جاء به الوحي مخبرا نبيه لذلك الواقع الحقيقي الا وهو المعاد»ان الخطاب في النصوص المذكوره كان واضحا في بيان الواقع الاستشعاري للمعرضين في تصديق الوحي والتجذب من اخبار الصادره في غيبه على ان بعد هذه الحياة الدنيا انتقاله سريعه الى الحياه الاخره ومن خلالها يعاد رفاة الموتى تارة اخرى الى خلق جديد, ويكون رهن الحساب وقد بين القران مدى سذاجتي هؤلاء الثلة الكافرة منهم عن جهلهم بتلك الاخبارات والرفض القاطع المنتزع من تحجر قلوبهم وعدم استيعاب الحقبقة من تلك الخطابات بمعانيه الجليه الواضحه والتي لها اثر الخشوع عند سمعه ولكن هؤلاء اسماعهم قد اصمت وعيونهم قد اعميت واذهانهم اقفلت عن التمعن فيما اراد الله ﷻ بيانه للانسانيه بما جاءت به الخطابات القرانيه ووحي من الله ﷻ وايضا كاشفه لغيبه المستقبلي ويحذر الناس كافة ان يكونوا على صله وثيقه بالله ﷻ من خلال الايمان بالمعاد والرجوع مره اخرى اليه, وكان اثر هؤلاء على انفسهم بالسلبيه التامه من خلال تعنتهم لما جاء به النبي وهو الناقل رسالة السماء باشاراته التربويه الباعثه لرفع مستوى وعي الانسان والالتزام بالعلاقه الوثيقه بينه وبين ربه من خلال الايمان الصادق والراسخ والتصور الواضح في قلوب الناس جميعا.

المبحث الثالث تدبير العقول من ظلمات الجهل.

تحدث القران كثيرا في رفع مستوى فهم الانسان وتقنين سلوكه الى ما يمكنه ان يكون عنصرا صالحا في المجتمع وان يكون اجتاز الحياه الدنيا وقد انجز ما عليه, وكان حديثه شاملا من خلال خطاباته الواعيه في كثير من النصوص التي بينت مقام الخروج من ظلمات الجهل الى النور الهدية وستلهام روح المعرفة كما في قوله تعال ﴿**ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾[١٨], حيث بين صحب الامثل بقوله: نور الإيمان وظلمات الكفر: بعدأن أشير في الآيات السابقة إلى مسألة الإيمان والكفر وإتضاح الحقّ من الباطل والطريق المستقيم عن الطريق المنحرف توضّح هذه الآية الكريمة إستكمالاً للموضوع أنّ لكل من المؤمن والكافر قائداً وهادياً فتقول: ﴿**ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا**﴾ فهم يسيرون في ظلّ هذه الولاية من الظلمات إلى النور﴿ **يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ**﴾.كلمة ﴿**وَلِيُّ**﴾ في الأصل بمعنى القرب وعدم الإنفصال ولهذا يقال للقائد[١٩]. والمربّي﴿ **وَلِيُّ**﴾ وسترسلة في توضيح الاية وقال: وتطلق أيضاً على الصديق والرفيق الحميم، إلاّ أنّه من الواضح أنّ الآية مورد البحث تعني في هذه الكلمة المعنى الأوّل، ولذلك تقول ﴿**ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا**﴾ ويمكن أن يقال أنّ هداية المؤمنين من الظلمات إلى النور هو تحصيل للحاصل،

ولكن مع الإلتفات إلى مراتب الهداية والإيمان يتّضح أنّ المؤمنين في مسيرهم نحو الكمال المطلق بحاجة شديدة إلى الهداية الإلهيّة في كلّ مرحلة وفي كلّ قدم وكلّ عمل، وذلك مثل قولنا في الصلاة كلّ يوم:﴿ **إهدنا الصراط المستقيم**﴾ ثمّ تضيف الآية إنّ أولياء الكفّار هم الطاغوت "الأوثان والشيطان والحاكم الجائر وأمثال ذلك" فهؤلاء يسوقونهم من النور إلى الظلمات ﴿ **وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ**﴾, ولهذا السبب ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾, نّ تشبيه الإيمان والكفر بالنور والظلمة تشبيه بليغٌ رائع، فالنور هو منبع الحياة ومصدر البركات والرشد والنمّو التكامل والتحرّك ومنطلق الاطمئنان والعرفة والهداية، بينما الظلام رمز السكون والموت والنوم والجهل والضلال والخوف، وهكذا الإيمان والكفر. النقطة الثانية هي أنّ "الظلام" في هذه الآية وفي آيات أُخرى جاء بصيغة الجمع "ظلمات"، والنور جاء بصيغة المفرد، وهذا يشير إلى أنّ مسيرة الحقّ ليس فيها تفرّق وتشتّت، بل هي مسيرةٌ واحدة فهي كالخط بين نقطتين حيث إنّه واحدٌ دائماً غير متعدّد، أمّا الباطل والكفر فهما مصدر جميع أنواع الاختلاف والتشتّت، حتّى أنّ أهل الباطل غير منسجمين في باطلهم، وليس لهم هدف واحد كما هو الحال في الخطوط المائله والمنحرفة بين نقطتين حيث يكون عددها على طرفي الخط المستقيم غير محدود ولا معدود. وأحتمل البعض أنّ المراد من ذلك أن صفوف الباطل بالنسبة لأهل الحقّ كثيرة. يمكن أن يقال أنّ الكفّار ليس لهم نورٌ فيخرجوا منه، ولكن مع الإلتفات إلى أنّ نور الإيمان موجودٌ في فطرتهم دائماً فينطبق عليه هذا التعبير انطباقاً كاملاً. من الواضح أنّ الله تعالى لا يجبر المؤمنين للخروج من الظلمات إلى النور "ظلمات المعصية والجهل والصفات الذميمة والبعد عن الحقّ" ولا يكره الكفّار على خروجهم من نور التوحيد الفطري، بل أنّ أعمال هؤلاء هي التي توجب هذا المصير وتثمر هذه العاقبة [٢٠]. « يكون الارتباط بين الولايه والنور ارتباطا وثيقا حيث الانتماء الى الولاء الالهي بحد ذاته يعتبر نورا وهذا النور هو هداية للنفوس الواعيه والعاقله والتي تفكر بثبات كيفيه استغلال هذا النور ليكون نبراسا لمسيرته في هذه الحياه الدنيا ويكمل ارتباطه بالاخره حيث يكون صدى ذلك النور يوم القيامه صدا عظيما كما في قوله تعالى يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ وقد اراد النص القراني ان يربط بين الولايه والنور فقد قال الله ولي الذين امنوا يخرجهم من ظلمات الجهل وظلمات الغفله وهي ظلمات كثيره في هذه الحياه الدنيا منها ظلومات العباديه وظلمات الغفلة والتغافل عن ذكر الله بما يجعل الانسان بعيدا عن توجهاته وارتباطاته الارشاديه مع التوصيات الالهية وقد ابان المفسر توضيحا لهذه الايه الكريمه المبارك ان الولاء الالهي هو الذي يستطيع ان يخرج الانسان من ظلمات السهو والغفله والجهل الى نور المعرفه والهدايه والطمانينه والنجاة يوم القيامه لهاؤلاء, وهو الالتزام والارتباط والتوجه الى ربها بما يريده في مناهجه الكثيره والداعيه الى رفع مستوى الارشاد ورفع مستوى الفهم والادراك والتقرب الى الله ﷻ فكانت هذه البيانات واضحه وجليه جدا في هذا النص لقد افاض صاحب الامثل في ذلك مفصلا مفهوم الولاء ومفصلا مفهوم النور اذ انسجم تماما مع الذين امنوا والذين خشعت قلوبهم لذكر لله ﷻ ولا نت واستقبلت ذلك النور مكانها ان ترى بعين الله وتنظر ببصيرة الحكمة الالهية وهي السبيل المنجي الى دار الاخره الى بر الامان ». وقد اوضح صاحب مجمع البيان بهذا الصدد مبين مفهوم الولاء بقوله: الولي من الولي و هو القرب من غير فصل و هو الذي يكون أولى بالغير من غيره و أحق بتدبيره و منه الوالي لأنه يلي القوم بالتدبير و بالأمر و النهي و منه المولى من فوق لأنه يلي أمر العبد بسد الخلة و ما به إليه الحاجة و منه المولى من أسفل لأنه يلي أمر المالك بالطاعة و منه المولى لابن العم لأنه يلي الولي من الولي و هو القرب من غير فصل و هو الذي يكون أولى بالغير من غيره و أحق بتدبيره و منه الوالي لأنه يلي القوم بالتدبير و بالأمر و النهي و منه المولى من فوق لأنه يلي أمر العبد بسد الخلة و ما به إليه الحاجة و منه المولى من أسفل لأنه يلي أمر المالك بالطاعة و منه المولى لابن العم لأنه يلي أمره بالنصرة لتلك القرابة و منه ولي اليتيم لأنه يلي أمر ماله بالحفظ له و القيام عليه و الولي في الدين و غيره لأنه يلي أمره بالنصرة و المعونة كما توجبه الحكمة و المعاقدة فجميع هذه المواضع الأولى و الأحق ملحوظ فيها و ولى عن الشيء إذا أدبر عنه لأنه زال عن أن يليه بوجهه و استولى على الشيء إذا احتوى عليه لأنه وليه بالقهر و الله تعالى ولي المؤمنين على ثلاثة أوجه أحدها أنه يتولاهم بالمعونة على إقامة الحجة و البرهان لهم في هدايتهم كقوله «وَ اَلَّذِينَ اِهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً» و ثانيها أنه وليهم في نصرهم على عدوهم و إظهار دينهم على دين مخالفيهم و ثالثها أنه وليهم يتولاهم بالمثوبة على الطاعة و المجازاة على الأعمال الصالحة. والمعنى: لما ذكر سبحانه المؤمن و الكافر بين ولي كل واحد منهما فقال «اَللَّهُ وَلِيُّ اَلَّذِينَ آمَنُوا» أي نصيرهم و معينهم في كل ما بهم إليه الحاجة و ما فيه لهم الصلاح من أمور دينهم و دنياهم و آخرتهم «يُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلظُّلُمَاتِ إِلَى اَلنُّورِ» أي من ظلمات الضلالة و الكفرإلى نور الهدى و الإيمان لأن الضلال و الكفر في المنع من إدراك الحق كالظلمة في المنع من إدراك المبصرات و وجه إخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر و الضلال إلى نور الإيمان و الطاعة هو أنه هداهم إليه و نصب الأدلة لهم عليه و رغبهم فيه و فعل بهم من الألطاف ما يقوي به دواعيهم إلى فعله لأنا قد علمنا أنه لو لا هذه الأمور لم يخرجوا من الكفر إلى الإيمان فصح إضافة الإخراج إليه

تعالى لكون هذه الأمور التي عددناها من جهة الله تعالى كما يصح من أحدنا إذا أشار إلى غيره بدخول بلد من البلدان و رغبة فيه و عرفه ما له فيه من الصلاح أن يقول أنا أدخلت فلانا البلد الفلاني و أنا أخرجته من كذا و كذا «وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ» أي متولي أمورهم و أنصارهم الطاغوت و الطاغوت هاهنا واحد أريد به الجميع و هذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة [٢١]. « وقد افاد صاحب مجمع البيان بان مفهوم الولاء والانسجام والانقياد والاستقطاب الى الله ﷻ مما فيه ولا الجوارح والاقياد لارادته من خلال توصياته لتقوم السلوك الانسان وكذلك بين الفرق بين الولائي ولا الى الله ﷻ وولاء الى الشيطان وهؤلاءهم الثلة للكافره الذين يؤمنون بالطاغوت ويتبعون الشهوات ويكون الجهل مخيما على عقولهم ليكون مظله لسلوكياتهم واتباع الانتماء الولائي لغير الله ﷻ. » ما استخلصناه من النص الاصلي والنصوص المقاربه المنتميه له في وحده الموضوع حيث تبين ان هناك في الحياه الدنيا طريقان طريق الخير والاسترشاد وطريقه الشر والضلاله وعليه يكون الانسان قد اختار احد الطريقين وهذا لابد ان يكون وفق انتماء لولائين, ولاء الى الله فيه الرشاد والخير والامان والطمانينه وحسن العاقبه, وولاء اخر ولاء للشيطان وفيه الضلاله والخسران وعدم الطمانينه والقلق الدائم يوم القيامه وقد بين النص على ان الله يتولى الذين امنوا ويخرجهم من ظلمات الجاهل الى نور الهدايه والمعرفه والطمانينه بعدما خيم الجهل على عقولهم وعقائدهم الفاسده انتماءاتهم التي كانوا يؤمنون بها من دون نور يهتدون به فاراد النص بيان ما هو فيه الاصلاح والصلاح للعنصر الانساني ان يرتقي ويكون من المهتدين لنور الله والعاملين على اصلاح نفوسهم من خلال ذلك النور والوصول الى جاده الامان يوم القيامه راضين ومرضيين قبل الله تعالى ﷻ.

المبحث الرابع الموروث العقائدي المظلم.

١- **تركة الاباء وتعنت الابناء**كثيرا ما تنتمي العقائد الى خط التواصل ما بين الاباء والابناء حيث يولدون على فطرتهم الابناء ويكون اثر السلوك العقائدي للاباء وقع على منهج الاعتقاد التربوي الضال في سلوك الاباء ويكون ما ورثه الابناء من تركه عقائديه فاسدة وضالة ترسخت وانطوت تماما وانطلت على شخصيتهم واتجاهاتهم العقائدي وقد بينت الخطابات القرانيه بنصوصها الواضحه تعنت هؤلاء من الاستجابه الى وحي السماء عن طريق الانبياء والرسل وتمسكهم بهذه العقيده الفاسده الموروثه من ابائهم وظلت انفسهم عاكفه على عباده الاوثان والاصنام وغيرها من المعتقدات الفاسد, ه ناخذ نصا من القران الكريم ونحاور مفهومه بهذا الصدد كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾, وهنا يتحدث النص عن العلاقه العقائديه بين جيل الابناء الذي ورث من ابائه تلك العقائد الفاسده وعلى اثر تلك التبعية هم مقتدون وبين جمله من المفسرين في بيان حقيقه هؤلاء كما يخبرنا النص القراني, حيث قال الصافي في تفسيره: ﴿بل قالوا إنا وجدنا اباءنا على أمة﴾, طريقة تام ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾, أي: لا حجة لهم على ذلك، وإنما جنحوا إلى تقليد آبائهم الجهلة. ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا اباءنا على أمة وإنا على اثارهم مقتدون﴾, تسلية، ودلالة على أن التقليد في مثله ضلال قديم. وفي تخصيص المترفين إشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد. ﴿قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبائكم﴾ يعني: أتتبعون آباءكم، ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم، وهو حكاية أمر ماض أوحى إلى النذير، أو خطاب لنبينا صلى الله عليه وآله. ﴿قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ أي: وإن كان أهدى[٢٢]. « كان واضحا الزام الحجه عليهم من خلال قولي النبي ابراهيم عليه السلام انما يتبعونه هو الباطل بعينه وان تغليدهم لابائهم تقليد اعمى وان الزم الحجه عليهم لخيرا ما كانوا يعتقدونه ويتخذونه رمزا للعبوديه من دون الله ﴿ », وقال صاحب الامثل في بيان المتعنتي في هذا النص: يستفاد من هذه الآية جيداً أنّ المتصدين لمحاربة الأنبياء، والذين كانوا يقولون بمسألة تقليد الآباء ويدافعون عنها بكل قوّة، كانوا من المترفين والأثرياء السكارى والمغرورين، لأنّ "المترف" من مادة "التَرَفُّه" أي كثرة النعمة، ولما كان كثير من المنعمين يغرقون في الشهوات والأهواء، فإنّ كلمة "المترف" تعني مَن طغى بالنعمة وغرق في سكرتها وأصبح مغروراً، ومصداق ذلك . على الأغلب . الملوك والجبابرة والأثرياء المستكبرون والأنانيون.نعم، هؤلاء هم الذين تتعرض مصالحهم وأنانيّاتهم للفناء بثورة الأنبياء، ويحدق الخطر بمنافعهم وثرواتهم اللامشروعة، ويتحرّر المستضعفون من مخالبهم، ولهذا كانوا يسعون إلى تخدير الناس وإبقائهم جهلاء بمختلف الأساليب والحيل. وأغلب فساد الدنيا ينبع من هؤلاء المترفين الذين يتواجدون في أماكن الظلم والتعدي والمعصية والفساد والرذيلة. وجدير بالذكر، أنّنا قرأنا في اية اخرى أن هؤلاء كانوا يقولون: ﴿ **إنّا على آثارهم مهتدون**﴾[٢٣] وهنا يذكر القرآن أنّهم يقولون: ﴿**وإنا على آثارهم مقتدون**﴾[٢٤]وبالرغم من أن التعبيرين يعودان إلى معنى واحد في الحقيقة، إلاّ أنّ التعبير الأوّل إشارة إلى دعوى أحقيّة مذهب الآباء، والتعبير الثّاني إشارة إلى إصرار هؤلاء وثباتهم على اتباع الآباء والإقتداء بهم. وعلى أية حال فإنّ هذه الآية نوع من التسلية لخاطر النّبي الأكرم (ﷺ) والمؤمنين ليعلموا أن ذرائع المشركين واستدلالاتهم هذه ليست بالشيء الجديد، إذ أنّ هذا الطريق سلكه كل المنحرفين الضالين على مر التأريخ. وتبيّن الآية التالية جواب الأنبياء السابقين على حجج ه ؤلاء المشركين والمنحرفين بوضوح

تام، فتقول: ﴿ **قال أو لو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم**﴾[٢٥] اهذا التعبير هو أكثر التعابير المؤدبة الممكن طرحها أمام قوم عنيدين مغرورين، ولا يجرح عواطفهم أو يمسها مطلقاً، فهو لا يقول: إن ما تقولونه كذب وخرافة، بل يقول: إن ما جئت به أهدى من دين آبائكم، فتعالوا وانظروا فيه وطالعوه. إنّ مثل هذه التعبيرات القرآنية تعلمنا آداب المحاورة والمجادلة وخاصّة أمام الجاهلين المغرورين. ومع كل ذلك، فإنّ هؤلاء كانوا غرقى الجهل والتعصب والعناد بحيث لم يؤثّر فيهم حتى هذا المقال المؤدب الرقيق، فكانوا يجيبون أنبياءهم بجواب واحد فقط: ﴿ **قالوا إنّا بما أرسلتم به كافرون**﴾ دون أن يأتوا بأيّ دليل على مخالفتهم، ودون أن يتأملوا في الإقتراح المعقول المتين لأنبياء الله ورسله.من البديهي أنّ مثل هؤلاء الأقوام الطاغين المعاندين، لا يستحقون البقاء، وليست لهم أهليّة الحياة، ولابدّ أن ينزل عذاب الله ليقتلع هذه الأشواك من الطريق ويطهره منها[٢٦]. « وقد افاد صاحب الامثل ان تعمد هؤلاء نامي ومنتمي الى الجهل المظلم الذي خيم على مستدركاتهم ومفاهيمهم العقليه حيث كان رفضهم واضحا وصريح بتصلب جوابهم على انهم سائرون على خطى ابائهم العقائديه التي اورثوها من ابائهم الاولين وبالرغم من الزام الحجه عليهم بصريح العباره في تركي تلك العقائد المظلمه واتباع فضيله العقيده الصحيحه المترسخه بعباده الواحد الاحد دون غيره بعد الزام الحجه عليهم ». من خلال ما قراناه في تلك الخطابات والتي حملتها النصوص المعنيه في في خضام العقيده الفاسده في التولي من دون الله وجدنا ان اثر الموروث في الاتجاهات العقائديه من الاباء والاجداد يمتد امتدادا مترسخا في بناء تلك العقائد وكذلك ما فهمناه من النص المعني وغيره في صدد الموضوع لابد ان يعني انسان ما يحكم به عقله ويتفكر برويه ويستجيب لنداء السماء من خلال ما تطرق اليه بالتبليغ الانبياء والرسل في اتجاه الصحيح ورسم سلوك صحيح لاتخاذ العقيده الصحيحه من خلال ذلك التفكر والتعقل وبناء صوره حكيمه وسليمه للقلوب والتقرب الى الباري ﷻ وهو الخالق والمنشئ والمصور والرزاق بامر الوجود وبالخصوص وجود الانسان, فعليه ان يكون الموقف عند هذا الانسان الذي ورث تلك العقائد الفاسده والمنحرفه في بناء علاقه مع ولائه للطاغوت طويله ومتماسكه عليه ان يحلحل تلك العقيده ويتجه باتجاه الصحيح من خلال رسم صوره يقينيه في قلب سليم واتجاه صائب.

٢- **اثار الشرك بالله والخزي المرتقب**.كما نعلم ان الشرك من الكبائر ومقامه مقام الكفر بالله سبحانه وتعالى وانه لظلم عظيم, فلابد ان يكون للخطاب القراني اشارات واضحه وتوجيه تربوي لرفع مستوى الفهم والخروج من الظلمات الى النور والهوض بالعلم دون الجهل الذي يؤثر تاثيرا مباشرا على عقائد الانسان وينور مفاهيمه الى دور التوحيد في الحقيقه والواقع الذي غفل عنه, فلابد ان يكون مسترشدا متذكرا ان مقامه يوم القيامه مقام الخزي وسوء المصير بتلك الكبائر وهي الشرك بالله واتلاف هويه التوحيد بتعنتهم واصرارهم على طمس هويه ربوبية التوحيد ولنص القراني حاضور في بيان صوره هؤلاء يوم القيامه كما بينت هذه الايه المبارك في قوله تعالى: ﴿ **قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ** ﴾[٢٧], وقد بين لمفهوم هذا النص صاحب تفسير الصافي بقوله: د مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد من الأساطين التي بنوا عليها فخر عليهم السقف من فوقهم هذا تمثيل لاستيصالهم بمكرهم والمعنى أنهم سووا منصوبات ليمكروا الله بها فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتى البنيان من جهة الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ومن أمثالهم من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا والمراد بإتيان الله إتيان أمره من القواعد أي من جهة القواعد وأتهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون "وفي الجوامع والعياشي" عن الصادق عليه السلام إنه قرأ فأتى الله بيتهم وزاد العياشي يعني بيت مكرهم. وعن الباقر عليه السلام كان بيت غدر يجتمعون فيه إذا أرادوا الشر.والقمي عنه عليه السلام بيت مكرهم أي ماتوا فألقاهم الله في النار قال وهو مثل لأعداء آل محمد صلوات الله عليهم. وفي التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث فإتيانه بنيانهم من القواعد إرسال العذاب. ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم وقرئ بكسر النون أي تشاققونني لأن مشاقة المؤمنين مشاقة الله قال الذين أوتوا العلم أي الأنبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم إلى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم إن الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين إظهارا للشماتة وزيادة في الإهانة. الذين أوتوا العلم الأئمة عليهم السلام يقولون لأعدائهم أين شركاؤكم ومن أطعتموهم في الدنيا[٢]. وقد اوضح صحب الميزان بقوله لهذا النص: قوله تعالى : ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ**﴾[٢٨] إلخ ، إتيانه تعالى بنيانهم من القواعد هو حضور أمره تعالى عنده بعد ما لم يكن حاضرا ، وهذا شائع في الكلام وخرور السقف سقوطه على الأرض وانهدامه. والظاهر . كما يشعر به السياق . أن قوله : ﴿ **فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ** ﴾ كناية عن إبطال كيدهم وإفساد مكرهم من حيث لا يتوقعون كمن يتقي أمامه ويراقبه فيأتيه العدو من خلفه فالله سبحانه يأتي بنيان مكرهم من ناحية قواعده وهم مراقبون سقفه مما يأتيه من فوق فينهدم عليهم السقف لا بهادم يهدمه من فوقه بل بانهدام

القواعد. وعلى هذا فقوله : ﴿ **وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ عطف تفسيري يفسر قوله : ﴿ **فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ** ﴾ إلخ والمراد بالعذاب العذاب الدنيوي. وفي الآية تهديد للمشركين الذين كانوا يمكرون بالله ورسوله بتذكيرهم ما فعل الله بالماكرين من قبلهم من مستكبري الأمم الماضية حيث رد مكرهم إلى أنفسهم فكانوا هم الممكورين. قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ** ﴾[٢٩] الإخزاء من الخزي وهو على ما ذكره الراغب الذل الذي يستحيي منه ، والمشاقة من الشق وهو قطع بعض الشيء وفصله منه فهي المخاصمة والمعاداة والاختلاف ممن من شأنه أن يأتلف ويتفق فمشاقة المشركين في شركائهم هو اختلافهم مع أهل التوحيد وهم أمة واحدة فطرهم الله جميعا على التوحيد ودين الحق ومخاصمتهم لهم وانفصالهم عنهم. والمعنى : أن الله سبحانه سيخزيهم يوم القيامة ويضرب عليهم الذلة والهوان بقوله : ﴿**أين شركائي الذين كنتم تشاقون**﴾ أهل الحق فيهم وتخاصمونهم وتوجدون الاختلاف في دين الله. قوله تعالى : ﴿ **قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكافِرِينَ** ﴾ الخزي ذلة الموقف والسوء العذاب على ما يفيده السياق. وهؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم أوتوا العلم وأخبر أنهم يتكلمون بكذا هم الذين رزقوا العلم بالله وانكشفت لهم حقيقة التوحيد فإن ذلك هو الذي يعطيه السياق من جهة المقابلة بينهم مع وصفهم بالعلم وبين المشركين الذين ينكشف لهم يومئذ أنهم ما كانوا يعبدون إلا أسماء سموها وسرابا توهموه. على أن الله سبحانه يخبر عنهم أنهم يتكلمون يومئذ ويقولون كذا وقد قال في وصف اليوم ﴿ **لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقالَ صَواباً**﴾[٣٠]والقول لا يكون صوابا بحق المعنى إلا مع كون قائله مصونا من خطأه ولغوه وباطله ، ولا يكون مصونا في قوله إلا إذا كان مصونا في فعله وفي علمه فهؤلاء قوم لا يرون إلا الحق ولا يفعلون إلا الحق ولا ينطقون إلا بالحق. فإن قلت : فالذين أوتوا العلم بناء على ما فسر ، هم أهل العصمة لكن تدفعه كثرة ورود هذه اللفظة في كلامه تعالى وإرادة غيرهم كقوله : ﴿ **وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللهِ خَيْرٌ** ﴾[٣١] , وقوله : ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ**﴾[٣٢] إلى غير ذلك من الموارد الظاهر فيها عدم إرادة العصمة من إيتاء العلم. قلت : ما ذكرناه إنما هو استفادة بمئونة المقام لا أنه مدلول اللفظ كلما أطلق في كلامه تعالى. وأما قولهم : إن المراد بالذين أوتوا العلم هم الأنبياء فقط أو الأنبياء والمؤمنون الذين علموا في الدنيا بدلائل التوحيد أو المؤمنون فحسب أو الملائكة فلا دليل في كلامه تعالى على واحد منها بخصوصه[٣٣].

« لقد تبين لكل المفسرين الصافي والميزان على ان هذا الخطاب يبين مدى تعنت هؤلاء الجهلاء في ما يعتقدونه في الحياه الدنيا وقد بنوا بنيانا عقائديا خاطئا بكفرهم, وقد اوضح النص ان نكران هؤلاء وكيدهم قد باء بالبطلان والهلاك, وقد صرح النص ان العذاب وقع عليهم من فوقهم ومن تحتهم وتلك القواعد المتينه والرصينه قد تهاوت وتهالكت وان لهم محل الخزي يوم القيامه ضعفاء صاغرين امام تعنتهم واعراضهم عن الحق المنزل من السماء وانهم سوف يواجهون بشركهم الذي اشركوا به مع الله ﷻ , وكان حقا في بيان ان الذين اوتوا العلم من فضل الله ﷻ وهم الثله من الانبياء والرسل اصحاب العلم والمعرفه بوحي السماء ان هؤلاء قد خسروا امام هذا الواقع الاخروي وهاهم نادمون منشقون عما كانوا عليه وانه تحملوا وزر الشقاء والعناء من ذلك التعنت الحياة الدنيا حيث كانوا احرارا فيما يعبدون واليوم هو في مقام الكفر امام ربهم لا يظلمون فيه شيئا ». ما اثمر به هو بيان الكفر من خلال الشرك بالله تحت العقليه الظلاميه للعقيده الفاسده وقد بين البحث على تعنت هؤلاء واصرارهم المنكر للحقيقه الواقعيه التي بينها وحي السماء من خلال الرسل والانبياء وانه مهما كان اصرار هؤلاء وشدتي عدائهم الى الحق المبين فان الله ﷻ قد دمر قواعدهم من تحتهم وخر عليهم السقف الذي كانوا به يحتمون, انه بناء عقائدي فاسد وباطل لا يغني من الحق شيئا, فقد تحدث النص وبقيه النصوص الاخرى المشابهه له في وحده الموضوع, ان الشرك ظلم عظيم ولا يتهاون به الحق ﷻ وانه يلزم الحجه على هؤلاء وقد وسم هذا الخطاب هذه الصوره لهؤلاء لتكون عبره وعلى نطاق الارشاد للاجيال القادمه لاخراجهم من الظلمات الى النور على خط الاستقامه والتوحيد والوصول الى بر الامان يوم القيامه بعقيده التوحيد والايمان بالله واليوم الاخر. جيث ان اطار التوجيه الارشادي ورفع مستوى العلم والمعرفه بالتوحيد ونبذ الجهل في طيات ظلماته وانه لابد ان يكون للانسان واعيه تجعله متجنبا جهل الشرك بالله ﷻ وانه لا يجزي نفعا ويخزي بضره يوم القيامه اسوء حضور لمن اشرك بالله ﷻ وتعنته في اسراره الملح واعتراضه لوحي السماء, وقد اوضح النص صوره جليه على ان مهما تكن قواعد الباطل متينه ورصينه لترفع السقف في مظله الشرك المظلم فانه سوف ينهار عليهم كما كما هو الحال لهؤلاء المشركين بشركهم وخر عليهم السقف واصبحوا لا حول ولا قوه الا بالله الحق الواحد الذي يعلى ولا يعلى عليه وانه يوم القيامه شديد العقاب لهؤلاء المشركين .

فهرس المصادر

١- المظفر، محمد رضا, كتاب: المنطق, النجف الاشرف, الناشر: مطبعة النعمان, تحقيق: محمد رضا الشيرازي ١٤٢٢ هـ , ط١ ,ج١, ص ١٧- ١٨

٢- سورة الانعام, الاية: ٧

٣- الطوسي , جعفر محمد بن الحسن , كتاب: التبيان في تفسير القرآن , تصحيح وتحقيق أحمد حبيب قصير العاملي , الناشر مكتبة الأمين النجف الأشرف، ط١, ١٣٧٦ هـ. ق , ج٤, ص ٨٢

٤- سورة الانعام, الاية:١١١

٥- سورة الحجر, الاية: ١٥

٦- الشيرازي، ناصر مكارم , كتاب: نفحات القرآن , الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام , قم المقدسة ١٤٢٦ هـ. ق ط١, ج٤, ص ٤٣٢ - ٤٣٣

٧- سورة سبأ, الاية: ٧-٨-٩

٨- السيوطي, الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين, الكتاب: الدر المأثور في التفسير بالمأثور , الناشر دار ابن حزم – بيروت – لبنان , ط١, ج ٦ ص ٦٧٤

٩- سورة سبأ, الاية: ٩

١٠- تفسير التبيان, مصدر سابق, ج ٨, ص ٣٧٧- ٣٧٨

١١- سورة سبأ, الاية: ٧

١٢- سورة المؤمنون, الاية: ٣٦

١٣- سورة النمل, الاية: ١٦

١٤- سورة الملك, الاية: ٢١

١٥- الطبطبائي, السيد محمد حسين, كتاب تفسير الميزان, الناشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت, ١٤١٧هـ. , ج ٢٠,ص ١٦٠

١٦- سورةالبقرة, الاية: ٢٥٧

١٧- تفسير الامثل, مصدر سابق, ج ٢, ص ٢٦٤

١٨- تفس المصدر, ج ٢, ص ٢٦٥- ٢٦٦

١٩- تفسير مجمع البيان, مصدر سابق, ج ٢, ص ٦٣٢

٢٠- سورة الزخرف, الاية: ٢٣

٢١- تفسيرالصافي, مصدر سابق: ج٣ ص ١٣٢

٢٢- سورة الزخرف, الاية: ٢٢

٢٣- سورة الزخرف, الاية: ٢٣

٢٤- سورة الزخرف, الاية: ٢٤

٢٥- تفسير الامثل, مصدر سابق, ج١٦, ص ٣٤-٣٥-٣٦

٢٦- سورة النحل, الاية: ٣٦- ٣٧

٢٧- تفسيرالصافي, مصدر سابق: ج٣ ص ١٣٢

٢٨- سورة النحل, الاية: ٣٦

٢٩- سورة النحل, الاية: ٣٧

٣٠- سورة النبأ, الاية: ٣٨

٣١- سورة القصص, الاية: ٨٠

٣٢- سورة الحج, الاية: ٥٤